أهل الشام

ريبورتاج

الفرق الشاسع بين احتياجات المعيشة والأجور الشهرية، جعل تدبّر السوريين لأحوالهم أشبه بالمعجزة. لا يتوافر كثير من الحلول «النظيفة» لسدّ الفجوة، وتكاد تقتصر على الحوالات الخارجية، أو العمل في أكثر من وظيفة، بعد أن أكلت الحرب المدّخرات والممتلكات. يحدث ذلك، وسط عجز الحكومة عن إيجاد حلول فعليّة، تُنقذ معظم أفراد الشعب من أزمات متكررة، اتّسع نطاقها ليشمل الحياة كافة

السوريون «تحت رحمة» الغلاء والحكومة ظهورٌ مكسورة

غياب السيولة النقدية فرض حظر تجوال ذاتياً في الأسواق (أرشيف ـ أ ف ب)

رحاب الابراهيم

بصوت مبحوح، تنادي سيدة ستينية من فلّاحات ريف دمشق، المارة في سوق «باب سريجة»، للشراء من أعشابها الطبيعية. «خلّيها لربك... ما في قول غير الله يفرج»، تجيب عند سؤالها عن أسباب عملها رغم سنّها الكبير. باتت تلك الجملة مرافقة لمعظم السوريين، بعد فقدانهم الأمل بتحسين مستوى معيشتهم، في ظلّ ارتفاع أسعار السلع وانخفاض قيمة مداخيلهم. وفيما لا يتجاوز متوسط الأجور 35 ألف ليرة سورية، تؤكد أرقام «المكتب المركزي للإحصاء»، أن إنفاق الأسرة يقدّر بنحو 325 ألف ليرة شهرياً.

«حظر تجوّل» ذاتي

يفصح حال أسواق دمشق عن الوضع المعيشي المتأزّم، إذ يكفي السير في أرجائها لإدارك أن الجمود سيّد الموقف. ليست الأسواق وحدها التي تعطي مؤشراً سلبياً عن المعيشة المرّة، فوجوه المارّة العابسة تروي الكثير من دون الحاجة إلى الكلام مباشرة معهم؛ ويندر غياب حديث الهمّ المعيشي وأزمات الوقود، عن أي تجمّع بين شخصين أو أكثر. يقول أحد الباعة في شارع «خالد بن الوليد»، الذي عادة ما يكون مكتظّاً: «السوق داقر... لم يشهد هذا الشارع يوماً ركوداً بهذه الطريقة، حتى في أشد أوقات الحرب ضراوة». ويضيف «عدم وجود السيولة فرض حظر تجول ذاتياً، فالغلاء طال كلّ شي ليزيد الأمور سوءاً».

فرق شاسع!

أحمد وسوف، واحدٌ من الموظّفين الحكوميين الكثر الذين يمارسون عملاً آخر في القطاع الخاص. ولم يعد مثل هذا السلوك خياراً لـ«تحسين الوضع»، بل بات نهجاً لا بدّ منه لسدّ الفجوة الهائلة بين الدّخل والنفقات. يقول أحمد، وهو أب لأربعة أطفال: «أضطر للعمل في القطاع الخاص بعد انتهاء دوام وظيفتي الحكومية. زوجتي موظفة أيضاً، لكن هذه الرواتب القليلة التي لا يصل مجموعها إلى 150 ألفاً (نحو 300 دولار) لا تكفي لمقاومة الغلاء. نحتاج لأكثر من 250 ألف ليرة شهرياً، فهل يجب أن نعمل ليل نهار لنستطيع العيش فقط؟». يرى الرجل أن هذا الواقع المعيشي الضاغط قد يدفع كثيرين إلى تغيير قناعاتهم، والسير في ركاب الفاسدين. أما من لديه أقارب أو أصدقاء ميسورون في المغترب، فهو من سعيدي الحظ، باعتبار أن الحوالات باتت إحدى الوسائل المُجدية للاستمرار في العيش؛ وهو ما يشير إليه فراس سمير، الذي يقول: «إيجار البيت يقارب 100 ألف ليرة، فهل يسدّها راتبي الذي لا يتجاوز 40 ألفاً؟ لولا الحوالات من إخوتي في الخارج كان وضعنا بالويل».

> لا يتجاوز متوسط الأجور 35 ألف ليرة فيما يقدّر إنفاق الأسرة بنحو 325 ألف ليرة شهرياً

«قانون الغاب»

ترى الخبيرة الاقتصادية، الدكتورة رشا سيروب، أن الدولة انسحبت بشكل كبير من أداء واجباتها الاقتصادية والاجتماعية، وتحوّلت إلى متفرّج على إدارة الأمور اليومية، بعد «تخلّيها عن وظيفتها» في توزيع الموارد، لتصبح هذه الوظيفة بيد المواطنين جميعاً وفق «قانون الغاب». فالمواطن يستطيع، حسب قولها، «البقاء على قيد الحياة، أو العيش يوماً بيوم، في أدنى المستويات المعيشية على حساب الكرامة الإنسانية، وخير دليل الانتظار في طوابير الغاز والمازوت والخبز ساعات وساعات، وفترات العمل الطويلة في أكثر من وظيفة، بعضها لا يلبّي الحد الأدنى من الشروط الصحّية والإنسانية». وتلفت سيروب إلى أن «بعض الأسر استطاعت الاستفادة من الحوالات الخارجية، والمساعدات الإنسانية، التي شكّلت طوق نجاة من العَوَز». لكن عضو مجلس الشعب، وليد درويش، يخالفها الرأي عند سؤاله عمّا يفعله المجلس للضغط على الحكومة لتحسين أحوال المواطنين. ويقول إن الحكومة «تفعل كلّ ما في وسعها لتحسين معيشة مواطنيها... ماذا بإمكانها أن تفعل إن كانت أميركا وحلفاؤها يفرضون حصاراً اقتصادياً صارماً؟». ويضيف «رغم كل الشائعات، لا يزال الدعم مستمراً للمشتقات النفطية والخبز والكهرباء». يشرح درويش أن «راتب الموظف كان قبل الحرب 25 ألف ليرة أي 500 دولار، وكان يعد من الأجور المرتفعة في الشرق الأوسط. لكن بعد ثمانية أعوام من الحرب، واشتداد الحصار وانخفاض قيمة الليرة الشرائية، انخفضت قيمة الأجور، ودخلنا أزمة حقيقية، لن تحلّها زيادة الرواتب، وخاصة أنه يصعب رفعها إلى 325 ألف ليرة».

بلد خير

اضطرت سنوات الحرب القاسية السوريين، وخاصة السيدات، إلى العمل في مهن لم تكن واردة في حساباتهن، بغية إعانة أسرهنّ. تؤكد صبية ثلاثينية من مُهجّري دير الزور، كانت تقف مع صديقاتها بزيهنّ الشعبي، متّكئة على إحدى السيارات أمام أكياس قليلة من الكمأة، اضطرارها للعمل لتدبّر أحوالها المعيشية وتأمين إيجار بيتها، وخاصة أن زوجها عسكريّ في دير الزور. ولدى سؤالها عن أسباب بقائها في دمشق بعيداً عن زوجها، وما يحمله ذلك من أكلاف إضافية، تردّ برسم ضحكة على وجهها والقول: «ما في أحلى من الشام». أما السيدة الخمسينية، التي كانت تتسوق لشراء احتياجات بيتها برفقة ابنتها الوحيدة المتزوجة، فلم تجد أفضل من كلمة «على الله» لوصف كيفية تدبّر شؤون بيتها، لتضيف بعدها: «زوجي ترك وظيفته في القطاع الخاص، وليس لدينا مصدر دخل ثابت. لكنني أحاول أنا وعائلة ابنتي تدبير أمورنا... نعيش في بيت واحد لتخفيف النفقات قدر الإمكان». وتكمل حديثها بلغة من صقلته الحياة: «سوريا بلد خير وكل شي متوفر في الأسواق، بس ما في مصاري للأسف. نحن راحت علينا، لكن بزعل على الجيل الشاب الذي يرى كل شيء أمام عينه، لكنه لا يستطيع التمتع به بسبب عدم توافر المال».

حلول «تدخلية»

ملّ السوريون وعود الحكومة بتحسين ظروفهم المعيشية، وهو ما ترى الدكتورة سيروب، أنه «يقوم على تعزيز القدرة الشرائية للدخل والعمل على مستويات اجتماعية وإدارية واقتصادية، تتطلب تصحيح الحد الأدنى للأجور بما يتفق مع الدستور، وخلق فرص عمل... وعبر سياسات التنمية الاجتماعية في مجال المساعدات والحماية والضمان الاجتماعي والصحة وإعادة توزيع الدخل وغيرها». كما يُفترض العمل إدارياً، حسب سيروب، على توفير السلع والخدمات العامة بالجودة المطلوبة، وضبط أسعار السلع، ما يتطلّب عودة الدولة للتدخل في الشأن الاقتصادي والاجتماعي، وتصحيح الانحراف الناشئ عن قوى السوق. وترى أنه «حتى تتمكن الدولة من أداء مهامها، فإن هذا يستدعي إعادة تحصيل مواردها المالية المهدورة، التي كانت السبب الرئيس في إضعاف قدرتها على التدخل».

تصميم: سنان عيسى

بريد دمشق

من يوميات مُطيع أبو راضي

صهيب عنجريني

يخرج مُطيع أبو راضي من منزله مبتسماً. يقطع الزقاقات الضيقة، إلى الشارع العام. يتعكر مزاجه لدى مشاهدة مئات السيارات وقد انتظمت في طابور طويل، أمام إحدى الكازيّات. «لماذا يصرّ هؤلاء السفلة على الإيحاء بوجود أزمة بنزين؟»، يقول لنفسه، ويطلق على أصحاب السيارات ما يليق بهم من الشتائم، والصفات. أمضى مطيع الأيام الماضية يتابع كل تصريحات المسؤولين، وهم يؤكّدون أن «الأزمة مفتعلة»، والقضية محسومة بالنسبة له. طال انتظاره لـ«باص النقل الداخلي»، لا شكّ في أنّ المؤامرة وصلت إلى هذا القطاع أيضاً بسبب ضِعاف النفوس. لا يريد الرجل التأخر، فقد حان موعد تسديد فاتورة الكهرباء منذ الأمس، وهو لا يحب التباطؤ في تسديد ما عليه للحكومة. يتذكر انتقادات زوجته المستمرة: «الفاتورة عم تطلع كبيرة، مع إنو الكهربا مقطوعة كل الوقت، قدّم اعتراض يا زلمة». يدعو لها بالصلاح، فهي «امرأة جاهلة. لا تعرف أن من واجبنا الوقوف إلى جانب الحكومة في هذه الظروف». خطر له أن يقطع الوقت في قراءة تفاصيل الفاتورة السابقة، ريثما يأتي الباص. وقعت عينه على بند «المجهود الحربي»، فابتهج. ضميره مرتاح تماماً، فهو مشارك في تغطية نفقات الحرب، وهذا يعوّض عجزه عن القتال بعد أن بُترت ذراعه. ينتقل بصره إلى البند التالي، فتكبر ابتسامته: «إعادة الإعمار». يحب مطيع هذا البند أينما وُجد. في فواتير الكهرباء والهاتف، فواتير المطعم الذي يرتاده مرة في الشهر بسبب «نق زوجته»، طوابع المعاملات في دوائر الدولة... إلخ إلخ إلخ. «في أحلى من إنك تكون شريك بتعمير البلد؟»، يردّد دائماً في كل نقاش مع الجهلة المتذمّرين، ويتطلّع بتوق إلى ذلك اليوم الذي ستبني فيه الحكومة مساكن جديدة، وتبيعه واحداً منها، بدلاً من بيته الذي دمّره المجهود الحربي، قبل أن ينزح من مدينته. البند الأحب إلى قلب مطيع هو «طابع شهيد»، لا بدّ من المساهمة في تحسين ظروف أُسر الشهداء. يعرف مطيع تماماً أن ظروف زوجة أخيه الشهيد بالغة السوء، وكذلك حال عائلة عمّه، وجارته المقعدة التي خسرت ثلاثة أبناء. «أكيد لأنو الناس عم تقصّر بدفع الفواتير، وبالتالي عم تنقص حصص الشهيد»، يقول دائماً، ويغضب على المجتمع، ويدعو الله أن يعين الحكومة على هذا الشعب الذي «ما بيستاهل تعبها». تأخّر الباص كثيراً، والساعة صارت التاسعة، ما يعني أن مركز الجباية قد فتح أبوابه منذ نصف ساعة. يحزم مطيع أمره، ويقرر الذهاب سيراً، يرفع ياقة معطفه الذي اشتراه من «البالة» منذ أيام، ودفع فيه ثمناً مضاعفاً بسبب جشع البائع الذي تذرّع بأن «الحملة ضد التهريب» هي السبب. «شعب فاسد، لا حلّ له»، يقول مطيع بصوت عالٍ، ويمشي مسرعاً، فوق برك الوحول والمياه، من دون أن يفوته شكر ربّه على نعمة المطر.

لقطة

حسن محمد يجلب «خطّ الاستواء» إلى طرطوس

سناء علي

يتجوّل حسن (33 عاماً) في مشتل الغراس الاستوائية الخاص به. يتفقّد ثمار البابايا الناضجة، مستبشراً بحرارة شمس الربيع التي تداعب شتلاته الصغيرة، الغريبة عن المكان.

يملك حسن علي محمد، خريج «كلية الإعلام» في جامعة دمشق، شغفاً عظيماً بالنباتات ذات الحجم الكبير، ويكنّ احتراماً خاصاً لهذا «العالم الدقيق المتوازن» كما يصفه، ما دفعه إلى التخلي عن مهنته ومهمته في الاستكشاف والتوثيق، والعودة إلى فطرته المحبة للنبات والزراعة. «أشعر بأنني نزلت في هذه البقعة الجغرافية من طريق الخطأ، لأن روحي تعيش هناك، في الغابات الاستوائية»، يقول حسن لـ«الأخبار».

في عام 2013، بدأ ابن مدينة طرطوس تجربة زراعة عدد كبير من الأنواع النباتية الاستوائية والمدارية، بإمكانات ووسائل ذاتية وبدائية، على أرض مساحتها 8 دونمات، وتبعد عن طرطوس 3 كيلومترات. يجزم حسن قاطعاً بأن والده المتوفى «ما كان ليقبل باقتلاع أشجار الليمون، مقابل مشروع كهذا أبداً».

بتوافر بعض العوامل المساعدة، كالموقع الجغرافي بتربته اللحقيّة النهرية، وحرارته الدافئة، وامتلاك الرغبة والإصرار، والقدرة على التواصل للحصول على المعلومة عبر الفضاء الإلكتروني، ينتج المشروع اليوم أكثر من 90 نوعاً من الفاكهة، منها البابايا، والأفوكادو، وفاكهة التنين، والشوكولا، والليتشي، وأصناف عدّة من الموز.

يحوي المشروع جناحاً خاصّاً بالزوار، لا سيّما الأطفال والطلّاب الراغبون بالتعرف إلى المشروع البيئي، ومشاهدة أصناف الفاكهة الاستوائية وتجريبها بـ«أسعار رمزية». يشعر حسن بأنه يقع في «فخ التسميات أحياناً». زوّار المكان يحبّون وصفه بالغابة ـ ربما لكثافة الأشجار غريبة المظهر حولهم ـ بينما اختار هو أن يطلق عليه اسم «المغارة الاستوائية»، نسبة لتكهف صخري صغير في ركن من البستان. وأياً تكن التسمية، فإن هذا المكان يتمتع بطبيعة خاصة مختلفة عن مزارع الخضار والفاكهة التي نألفها في منطقتنا المتوسطية.

نجح حسن بإثبات صفة «الاستوائية»، ليبقى أمامه النجاح بإعطاء جذور ثابتة لأشجاره حتى عام 2023، وهي المدة التي افترض الشاب أنها كفيلة بالحكم على حلمه بالنجاح أو الفشل.

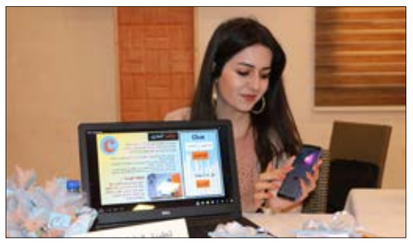

ابتكارات شباب الحسكة على طاولة «وجدتها»

أيهم مرعي

يفرش عدد من شبان وشابات محافظة الحسكة، ابتكاراتهم، على طاولات صغيرة، في معرض «وجدتها» للإبداع والابتكار. المعرض الأول من نوعه في المحافظة، أقامته «جمعية المودة الخيرية»، بالتعاون مع منظمتي «يونيسف» و«برنامج الأمم المتحدة الإنمائي»، وضم ابتكارات واختراعات برمجية وأخرى إلكترونية، بعضها جديد، وآخر تم تطويره. تبدو السعادة واضحة على وجه الشاب أسد الهبود، بعد أن وجد فرصة لعرض ابتكاراته للمرة الأولى. بحيوية لافتة يشرح الشاب للزوار ما تقدمه ابتكاراته من إضافات في عالم الإلكترونيات، وذلك في طريق بحثه، عن تحويل ابتكاره من مشروع إلى واقع حقيقي. يقول الهبود لـ«الأخبار» إن «مرحلة إعادة الإعمار تحتاج لمشاريع وابتكارات جديدة، لذلك حرصت أن أسهم بأفكار قد تشكّل إضافة جيدة». يتحدث عن مشاركته في المعرض «ابتكرت جهازاً لكشف السرقات، وآخر للإنذار عن الحرائق وإخمادها تلقائياً، مع جهاز لقياس نسبة المياه في خزانات المياه، للأبنية الطابقية». تغمر البهجة الشابة أسماء الرزج، بعد أن رأى تطبيقها «ألفا» النور في المعرض. تقول «هو تطبيق جديد، يضمن تسجيل الطلاب في الجامعة بطريقة سريعة، ويجعلهم على اطلاع دائم على أوضاعهم الجامعية، من دون حاجة إلى مراجعة الموظفين». أما علاء البركو، فقد أنجز تطبيقاً لإجراء عمليات حسابية معقدة، في وقت زمني قصير. يرى الشاب أن «البرنامج يخدم المهندسين والمتعهدين وكل المهتمّين بالمشاريع التجارية والاقتصادية الكبرى، ويختصر عليهم وقتاً كبيراً». وعلى طاولة كبيرة يعرض طالب الهندسة المدنية، ليث حاج غريب، اختراعاته، التي تضم طابعة ثلاثية الأبعاد تطبع مجسمات معقّدة بدقة عالية، بالإضافة إلى حساس لمنع أضرار مشاهدة التلفاز على الأطفال، وساعة رقميّة تتشكّل ببصريّة العين، مع برنامج لقفل السيارة أو باب المنزل بواسطة الهاتف الجوال. فيما نجح الشاب أحمد عطا الله، في تطوير روبوت، مع ابتكار سيارة تعمل وفق حساس يمنع اصطدامها بأيّ شيء صلب، ويغير مسارها تلقائياً. أما ماهر السيّد، فاختار ابتكاراً يقاوم آثار الحرب التي تتعرض لها منطقته، عندما قدّم جهازاً يمنع تلوث الهواء، ويقوم بتنقيته على مراحل، وذلك للحدّ من آثار المحروقات المكررة ومخاطرها. وعن أهمية الابتكارات ومصيرها، يقول مدير المعرض هاني الحمزة، لـ«الأخبار»: «قمنا بعقد لقاءات بين المبتكرين وعدد من الفعاليات الاقتصادية والتجارية، وذلك لتأمين دعم يسهم في أن ترى هذه الابتكارات النور». يرى الحمزة، أن «الكرة في ملعب الشركات ورجال الأعمال لاستثمار هذه الابتكارات والطاقات الشبابية».